الانزياح الدلالي المفهوم والإجراء

د. نوار بوحلاسة
قسم الآداب اللغة العربية
جامعة منتوري قسنطينة1

الملخَّــص:

تحاول هذه الدراسة أن تلقي الضوء على صورة من صور الانزياح وهو الانزياح الدلالي في لغة الشعر، باعتبار أن الشعر خطاب أدبي متميز عن غيره من أنواع الخطابات يرتكز على الانزياح في إيقاعه الصوتي وجوهره الدلالي، وقد اتخذه بعض النقاد معيارا لتميز اللغة الشعرية عن اللغة النثرية، واللغة التواصلية.

وقد اهتمت الشعرية العربية القديمة بخصوصيات هذه الظاهرة، وان عبرت عنها بمصطلحات أخرى تابعة للسياق الثقافي العام السائد آنذاك،مثل العدول والالتفات وشجاعة العربية...الخ.

كما تحاول هذه الدراسة أيضا تقديم تصور نظري لظاهرة الانزياح بوجه عام،والانزياح الدلالي بوجه خاص.

Résumé

Cette étude tente de faire la lumière sur l'une des formes d'écart, qu'est l'écart sémantique dans la langue de la poésie, en considérant la poésie comme un discours

littéraire distinct des autres types de discours, basé sur l'écart dans son rythme vocal, et son essence sémantique. Certains critiques l'ont utilisé comme un critère pour distinguer le langage poétique de la langue de prose, et la langue de communication.

La poésie arabe antique s'est intéressée par les spécificités de ce phénomène, même si elle l'a exprimé par d'autres termes appartenant au contexte culturel général prévalent à ce moment, tel que l'inversement, accorder l'attention et le courage de l'arabe ... etc.

Cette étude essaye également de fournir une conception théorique du phénomène de l'écart d'une manière générale, et de l'écart sémantique en particulier.

إن وظيفة الانزياح تخدم – في المقام الأول – النص ومتلقي النص، فهي تعمل على إثارة القارئ وإيقاعه في المفاجأة، كما تبعث على استغلال كل طاقات اللغة المعجمية والصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية لتتحقق الوظيفة الجمالية في النص.

وكما شهد مصطلح (الانزياح) جدلية كبرى حول مفهومه أنتجت العديد من المصطلحات والمفاهيم، تنوعت في المقابل **صور هذا (الانزياح)** وتباينت، وفق رؤية الناقد وتصوره، فعرفت الدراسات الأسلوبية المعاصرة العديد من صوره، منها: ما أوردته الباحثة الجزائرية " سامية محصول " في مقالة نشرتها مجلة " دراسات أدبية " حاولت فيها حصر أبرز مستويات " الانزياح " فكانت على النّحو التالي[1]

- انزياح على مستوى الحروف (وضع حرف مكان حرف).
- انزياح على مستوى الألفاظ (وضع لفظ مكان لفظ) .

- انزياح بالحذف (حذف حرف، لفظ، جملة، بيت شعري).
- انزياح على مستوى التعابير (وضع تعبير آخر غير شائع مكان تعبير شائع).
- انزياح على أنماط التبليغ ووسائله (من التصريح إلى التلميح، تورية).
- انزياح على مستوى بناء النص (مثلا الخروج عن معايير بناء رواية، أو بناء مسرحية...) .
- انزياح على مستوى الأفكار (استعمال فكرة في غير موضعها، أو عرض فكرة للوصول إلى أخرى،) .
- انزياح على مستوى استعمال الشواهد والأمثلة.
- انزياح على مستوى توظيف المصادر السابقة (شعر، قصص، شخصيات أعلام، أخبار، التراث، القيم).
- انزياح على مستوى توظيف الأهداف.
- انزياح على المستوى الدلالي، التركيبي، الصرفي، الصوتي، المعجمي،...

وهناك من أضاف الانزياح النفسي والعروضي والاستبدالي وغيرها، إلا أننا في هذه الدراسة سنحاول بإيجاز إبراز تلك الصور الأكثر شيوعاً، ومنها:

أ- الانزياح التركيبـــي:

من المعروف أن تركيب العبارة الأدبية عامة والشعرية منها على نحو خاص، يختلف عن تركيبها في الكلام العادي أو في النثر العلمي. فالشاعر، على حد قول كوهين Cohen، (هو شاعر بقوله لا بتفكيره وإحساسه، وهو خالق كلمات وليس خالق أفكار، وعبقريته كلها إنما ترجع إلى إبداعه اللغوي.2" وهو مخالفة التراتبية المألوفة في نظام الجملة من خلال بعض الانزياحات المسموح بها في الإطار اللغوي، كالتقديم والتأخير

في بعض بني النص كتقديم الخبر على مبتدئه، أو الفاعل على الفعل أو النتيجة على السبب و كذلك الحذف الفني الذي يستغني عن بعض البنى والمفردات سعياً وراء التلميح لا التصريح، الذي هو أبلغ أثراً وأعمق دلالة، ويدخل فيه الاعتراض والالتفات ، والتحول الأسلوبي "[2].

ب – الانزيـــاح الصوتـــي:

و يعني تكرار الحرف أو الكلمة، أو " إشراب حرف معنى حرف آخر، أو العدول عن حرف إلى آخر، ومن ذلك – مثلاً – العطف الوارد في قوله تعالى:" يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه "[3] إذ يجري العطف بين المتعاطفات هنا على الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم، لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل ما تقدم، فالزمخشري لكي يصل إلى الترقي في الرتبة أشرب واو العطف معنى بل، كأنه يقول يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه "[4].

ج- الانزيـــاح الدلالـــي:

هذا النوع من الانزياح يتسم بالابتكار والجدة والنضارة والإثارة. والأمثلة في هذا النوع كثيرة منها ما يسمى، ويعتمد على إحداث المفاجأة التي ينتجها حصول اللامنتظر من خلال المنتظر أي أن يتوقع المتلقي مضافاً إليه يتلاءم والمضاف، أو أن تتوقع بعد كلمة طعنة الرمح أو السيف لكن أن يضاف لها كلمة طعنة الريح أو الخوف،[5] فهذا هو الخرق أو الانحراف وأنواعه كثيرة منها انزياح النعوت عن منعوتاتها المتعارف عليها بتوظيف الاستعارة والمجاز، ومثاله: شقت السفينة عرض البحر، جملة عادية إيصاليه أوصلت المعنى على أكمل وجه بالمقابل لو قلنا: شقت عيونك قلب البحر

لاختلف المعنى كلياً وأصبح لدينا جملة شعرية متسقة منسجمة مع الإبداع الشعري.

ويمثل كوهين لهذا النوع من الانزياح بقوله "هذا السطح الهادئ الذي تمشي فيه الحمائم فالسطح هو البحر والحمائم هي السفن، وجمالية البيت تكمن في هذه المفردات فلو قال: هذا البحر الهادئ الذي تمشي فيه السفن لما شعرنا بأ ية شاعرية."[6] – وهذا النوع من الانزياح هو موضوع بحثنا هذا.

وقد حظي هذا النوع من الانزياح باهتمام البلاغة والشعرية منذ نشأة مصطلح الانزياح وبروزها في الساحة الأسلوبية والنقدية، واعتناء منظروا البلاغة الغربية، ويقودنا الحديث عن هذا النوع من الانزياح إلى الشعرية، وعلاقة الانزياح باللغة الشعرية، وغير خافٍ على القارئ ما تحفل به لغة الشعر من انتهاك للدلالات وخرق للأعراف والسنن، لذا نجد جان كوهين John Cohen يؤكد أن مكمن الشعرية هو المجاوزة، يقول: " المجاوزة بالنسبة للشعر خطأ مقصود للوصول عن طريقه إلى التصحيح الخاص بالشعر ".[7] فالشعر – عنده– هو: " انتهاك قوانين الكلام "[8].

و كذلك جوّز نقادنا القدماء للشاعر كافة أنواع الاختراق وأعطوه كامل الحرية فقد ورد على لسان الخليل بن أحمد الفراهيدي أن الشعراء " أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعني وتقييده، ومد مقصوره، وقصر ممدودة، و الجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته، واستخراج ما كلت الألسن عن وصفه ونعته، والأذهان عن فهمه وإيضاحه فيقربون البعيد ويبعدون القريب، و يحتج بهم ولا يحتج عليهم "[9]

والجاحظ حين التفت إلى ضرورة صياغة الشعر صياغة تصويرية مبنية على النسج الجديد، لم يكن أمامه إلا اعتبار المعاني متاحة لكل باحث

عنها دون عناء. يقول: " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير."[10]

وفي تلك الرؤية الجاحظية دعوة مبطنة لاستغلال إمكانات المعاني والخروج بها إلى الوظيفة الجمالية والقصد من ورائها إثبات القدرة على تخطي المألوف والانزياح عنه.

كما استطاع عبد القاهر الجرجاني أن ينتشل صفة الاستعارة من حيزها الضيق إلى مجال أوسع، باعتبار الجمال يبدأ حين تختفي الدلالة في التشبيه،" اعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زدت إرادتك التشبيه إخفاء، ازدادت الاستعارة حسنا، حتى إنك تراها أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد ألف تأليفا، إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه، خرجت إلى شيء تعافه النفس/ و يلفظه السمع."[11]

وجمالية اللغة الشعرية تندرج في بلاغة النص، وكونها تحافظ على البناء العام للمضمون من جهة وتحاول خرق المألوف من ناحية ثانية، فهي تمارس نوعا من السلطة على المبدع، والراجح أن الصورة الشعرية تعبير فضفاض وتعريفه أثرى البحث العلمي في المتون العربية والغربية."[12]

إذ يرى النقاد أن الشعرية مكمنها في الانزياحات الشعرية عن المعيار، والانحراف عن الحقائق المتواضع عليها في قاموس اللغة، والعدول عن الصرامة الاصطلاحية للغة، إذ أنه يمنح المبدع مرونة في نسج الصور، وحرية في الخلق، وتداعياً في الأفكار، بحسب قدرة كل مبدع وحذقه في

تخير الألفاظ وتلبيسها للمعاني وعليه، فالشعرية ما هي إلا نتاج متفرد أسلوبيا على غيره بتعبيره المنحرف عن المعايير.

ولهذا فالانزياح أداة الشاعر يستدعيها من خلال عنصر التخييل الذي يتوق إليه دوماً ليبعث من خلاله الدهشة في نفس المتلقي؛ ذلك لأن " التعبير المجازي يتسع لأكثر من معنى، وينفتح على غير قراءة، وهذا من رؤيته له كفضاء دلالي متعدد الاحتمالات والدلالات التي يفصح عن بعضها من خلال اتخاذ تقنية التأويل منطلقا لقراءته وفك شفراته، لا القراءة الظاهرية السطحية، في التعامل معه، والاشتغال عليه لأن هذه الأخيرة لا تلامس إلا السطح ولا تقبض إلا على المعنى الحرفي(الأوليّ) للكلمة، دون الولوج إلى عمق الدلالة، وملامسة معناها الثاني(الإيحائي)[13]

وهذا ما يفسر استحالة ترجمة لغة الشعر باعتبارها لغة خاصة ومتميزة تنزاح عن غيرها من اللغات الأخرى، مما يحدد استنادها، حسب (رومان جاكبسون Roman Jakobson) في معرض حديثه عن الوظائف الست للغة الشعرية على دعامات ثلاث هــي:[14]

1- المبدأ الأول: في اللغة الشعرية نجد النبر ينتقل من الخطاب الذي نرغب في توصيله إلى مادة الخطاب، بمعنى أنه ينتقل من المدلول إلى الدليل.

2- المبدأ الثانــي: ويتحدد في الإيقاع الذي ينظّم حركية النّص الشّعري، والذي تساهم فيه مجموعة من التشكيلات الصوتية التي تحاول بعث نسق من التعادلات الصوت (التوازي الصوتي الذي يمكن أن يتجاوز ما هو صوتي إلى الصرف والتركيب.) .

3- المبدأ الثالث: هناك خاصية نوعية للغة الشعرية تتبين في نبرها لما يُسمى بعنصري التنازع والإفساد، أي هذا الانتقال من اللغة العادية إلى اللغة الشعرية التي تعد قطعًا أو تقاطعًا للغة المألوفة.

" **لهذه الأسباب تبدو لغة الشعر (والأدب بشكل عام) لغة مشوشة لمحاولتها الدائبة من دون انقطاع خرق الأنظمة المألوفة، وتحويرها هذا هو ما يحقق لها تلك الغرابة الشعرية المنشودة عبر انزياحات أبعد ما تكون عن التواصل العادي أو الجمالية المفتعلة، إذ (التوصيل) غاية النظام اللغوي العادي، و(التجميل) دخيل على النظام اللغوي العادي،. أما (التشكيل) فمهمة الشاعر وهمّه وسبيله إلى الجمال**[15].

ويختلف الشعر عن غيره من أنواع الخطاب الأدبي برسمه الصور في حقول دلالية جديدة بحيث يحيلنا بتحويلاته للكلمات عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تثيرنا وتثرينا، وتحدث مفاجأة غير متوقعة تبرز قدرة الشاعر الإبداعية.

فالانزياح في لغة الشّعر " لا يدمر اللغة العادية إلا لكي يعيد بناءها على مستوى أعلى، فعقب فك البنية الذي يقوم به الشكل البلاغي تحدث عملية إعادة بناء بنية.

أخرى في نظام جديد"[16] فالشاعر يتكئ على الانزياح دائمًا في رسم الصورة وتشظي اللغة، وذلك موطن التفرد في لغته التي توسم بالترميز والإيحاء والإشارة والبعد عن المباشرة.

وهكذا، إذن يتيسر لنا وضوح الرؤية إلى الإبداع الشّعري لا باعتباره انزياحات مجانية وعبثية، بل من حيث هو خروقات محكومة ومقصودة في الوقت ذاته، تنأى بالشعر ولغته عن التخبط والعشوائية، وتمنحه المصداقية

والتميّز فاللغة فيه ليست " مجرد مادة هامدة كالحجر، وإنما هي ذاتها من إبداع الإنسان، وكذلك فهي مشحونة بالتراث الثقافي[17]

ولذلك يستوجب الحديث عن اللغة الشعرية الحديث عن انزياحاتها الدلالية وانفلاتها المستديم من قبضة المعيارية والتقعيد الصارمين بعيدًا عن أي ثبات واهم أو يقينية مضللة، كتلك التي يستشعرها في كثير من الحالات الناظر إلى الدرس البلاغي التقليدي، فهي لغة متمردة حرّة تحرر من كل قيد.

ويشير عبد الرحيم أبطي في مقالته له بعنوان (الانزياح واللغة الشعرية) " إلى مدى انتشارية مفهوم الانزياح، وتجاوزه المراوغ العجيب والدائم داخل القصيدة (أو النّص الأدبي ككل) لمستوى واحد (صوتيًا كان، أو دلاليا الخ ...) إلى مستويات شتى لها من الحضور داخل الإبداع الأدبي تشابك العلاقات واندغام أطرافها، ومن التفاعلات الحركية الوثّابة والحيوية المتناسلة "[18]، وهذا ما عبّر عنه بول فاليري Paul Valery، وأيّده جان كوهين في خرق الشعر للدلالة المباشرة، إذ يتجاوز هذه الدلالة إلى آفاق أرحب، وبهذا تصير " القصيدة الشعرية هي كيمياء الفعل التي تحدّث عنها الشاعر الفرنسي أ. رامبو Rambo، تلك الكيمياء التي تجتمع بفضلها داخل الجملة كلمات لا تجتمع من وجهة نظر المعايير الاستعمالية للغة "[19].

ومن الإسهامات الفاعلة في مسألة انزياح الشعر ما قدّمته (جماعة مو) إذ انطلقت من المنجز في البلاغة القديمة وهو تصنيف مختلف صور (الانزياح) وترتيبها، وأثارت قضية سادت في الدرس البلاغي أوردها (الحسن بواجلابن) في مقالة بعنوان (الانزياح المنطقي من منظور جماعة " مو") إذ يذهب بو اجلابن إلى أن الجماعة قد " لاحظت أن تحليلات البلاغيين والأسلوبيين السابقين لم تقدّم تفسيرًا يوضّح فعالية النصوص

الشعرية وطرائق اللغة التي تميّز الأدب، لذا حددت الجماعة الأدب كتحويل للغة، وضعت نظرية للانزياح تضم مجازات اللغة " لتأسيس بلاغة عامة، تحلل تقنيات تحويل اللغة وتحريفها، فحددت خصوصيات اللغة الشعرية، وسمات السرد عبر مختلف تجلياتها "[20].

وعليه فالشعر في جوهره ما هو سوى انزياح يجمع الإيحاء والحلم، أما الصورة الشعرية فهي إبداع خاص للروح ... وكلما كانت علاقة الواقعين المتقاربين بعيدة وصحيحة، صارت الصورة أمتن، وامتلكت قوة حركية، وواقعًا شعريًا.

فالشاعر يظل دائمًا معنّا بالبحث عن مثل تلك الصور التي تثير في لغته الخلق والإبداع، فانزياح الصورة والدوال ليس هدفًا وغاية، وإنما وسيلة يتلاعب بها الشاعر بغية الوصول إلى الإبداع والتفرد، ونلمح في كتاب (الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر) لخليل موسى ملامسة لهذه المسألة، فقد ذهب في بداية الأمر إلى" أن الانزياح يؤدي إلى غموض الرسالة، وإضعاف بنيتها، وهذا يعني أنه كلما عمد الشاعر إلى تعميق الانزياح ازداد انفصاله عن الجمهور "[21] ثم استدرك ذلك بقوله: " لكن الانزياح ليس هدفًا في ذاته، وإلا تحوّل النّص إلى عبث لغويّ، وفوضى في الرسالة ذاتها ، وإنما هو وسيلة الشاعر إلى خلق لغة شعرية داخل لغة النثر، ووظيفته خلق الإيحاء "[22]

واللغة الشعرية عالم من الإمكانات المتجددة حسب حاجات الإنسان وواقعه، كما يقول: (موكاروفسكي Mocarovski): " إن اللغة الشعرية – دائمًا – تعيد إحياء موقف الإنسان من اللغة، ومن علاقة اللغة بالواقع، وتجلو بطرق جديدة التأليف الداخلي.

للعلامة اللغوية، وتكشف إمكانيات جديدة لاستخدامها "[23]، ويصرّح (أدو نيس) لذلك في قوله: " إن التقنين والتقعيد يتناقضان مع طبيعة اللغة الشعرية؛ فهذه اللغة بما هي الإنسان في تفجّره واندفاعه، واختلافه، تظلّ في توهج وتجدد وتغاير، وتظل في حركية وتفجّر، إنها – دائمًا– شكل من أشكال اختراق التقنين والتقعيد "[24]

وهذا يؤكد ما تنهض به لغة الشعر من دور في بناء القصيدة إنها أعظم عنصر في بنائية القصيدة في الآداب جميعها، ففي أرضها تتجلى عبقرية الأداء الشعري، ومن لبناتها تبنى المعمرات الفنية التي تتآزر على إبداعها مجموعة عناصر متعاضدة ومتلائمة.

إن الألفاظ موجودة قبل الشعر (كمواد أولية)، لكن الشاعر ينسقها وينظمها بطريقة ما بحيث يخرجها عن عاديتها ليجعلها بالتواشج مع سواها شعرية متميزة، وذلك بطريقة التركيب وبالمساق الذي تردد فيه وذلك: " بوساطة الخلق التصويري الذي يكون معادلاً لانفعال الشاعر، هذا الانفعال الذي يحث الخيال على إعادة تحليل وتركيب البناء اللغوي، وذلك ببث حيوية مخصبة في الحياة الجميلة الهادئة الزاهية في أعراق تلك العلاقات التي يزيل عنها رتابتها وينفض نمطيتها بعد أن فقدت اللغة مجازها اللصيق بها في نشأتها الأولى "[25].

وهذا يؤكد أن " الاستخدام الشعري للغة كطاقات وقوى توجه مسير العبارة وتؤثر بفضل تسلسل أنغامها غير العادية تأثيراً سحرياً غير عادي وهذا التأثير يساهم بالمقدار نفسه في خلق الإحساس بالموقف الشعري أو التجربة الشعرية "[26] كما أن للغة الشعر القدرة على الإيحاء بما لا تستطيع اللغة العادية أن تقوله: " فالأدب يوجد بقدر ما ينجح في قول ما لا تستطيع

اللغة العادية أن تقوله، ولو كان يعني ما تعنيه اللغة العادية لم يكن مبرر لوجوده[27] " وقد أوليت اللغة الشعرية بفضل الفتوحات الألسنية وانطلاقاً من (ذي سوسير De Saussure) أهمية كبرى وانطلقت معظم المناهج النقدية الحديثة من بنى النص اللغوية حيث فرق (سوسير Saussure) بين اللغة والكلام وأوضح أن الكلام هو استعمال خاص للغة، إذ اللغة اجتماعية والكلام فردي وخاص.

الشعر إذن يسعى إلى وظيفة جمالية تتواشج مع الوظيفة الإبلاغية ولغة الخطاب العادي لا انزياح فيها، في حين إن شعرية الأدب تقوم من جملة ما تقوم على الانزياح لأن الأدب والشعر خاصة في استعماله للغة يحاول استغلال كل طاقاتها المعجمية والصوتية والتركيبية والدلالية، ومن تواشج هذه العناصر تنبعث الوظيفة الجمالية.

وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن خصوصية استعمال الشعر للغة والدعوة للانزياح وتميز لغة كل مبدع من سواه لا يعني أنه يهدمها لأن " ما يتغير هو معجم اللغة نظراً لارتباط اللغة بنشاط الإنسان الإنتاجي في كل مجالات عمله دون استثناء، أما نظام القواعد فلا يتغير إلا ببطء شديد نحو تحسين القواعد وأحكامها مجدداً. من هنا فإن كل عمل أدبي هو مجرد انتقاء من لغة معينة على أن لا يفهم الانتقاء أنه انتقاء من أشياء جاهزة بل هو خلق خاص[28]".

وتثير (يمنى العيد) قضية علاقة الانزياح بالشعر، مشيرة إلى أن له أنماطا غير مباشرة تستعين بأدوات لغوية عدة مثل الاستعارة والتشبيه والإيحاء والتخييل ... الخ، وغير ذلك مما يدخل في عالم المعاني والمجاز والبلاغة، مؤكدة أن الانزياح ليس مجرد تنويع للمعنى بل " يطال رؤية

الشاعر المختلفة لعالمنا الواحد. أي أنه يخص نظرية الشعر... من هنا التأكيد على الاختلاف، الذي هو اختلاف مرتبط بالنظر إلى العالم، أو رؤية ما له، أي بوعي ما ينهض في هذا الفضاء اللغوي الذي هو فضاء **العلامات الكون المنزاح** "[29].

هكذا يحاور الانزياح النص الشعري ويشمل علاماته العميقة كما يشتغل بخارجه، إذ لا تتحقق بالاستعارة أو أية صياغة (صورة) مجازية، بل يتجاوز ذلك إلى مستوى الوعي والإيديولوجيا، ما دامت اللغة حقلاً أو كون العلامات بما هي فضاء إيديولوجي منزاح، والصياغات المجازية تُمارس في هذا الكون؛ إنها بمثابة تقنيات لصياغة رؤية ما، أو كما تقول (العيد) بعبارة أكثر عمقًا وتركيزًا:" الشعر هو زاوية رؤية مختلفة لكن تقال شعريًا "[30]

وإذا سلّمنا بأن الانزياح عماد اللغة الشعرية وأن المعالجة الأسلوبية الغربية المعاصرة رصدت للانزياح الشعري أنواعًا متعددة لأنه يجب الحذر عند نقلها وتطويعها في الشعر العربي، ويثير عبدا لرحيم أبطي في مقالته (الانزياح واللغة الشعرية) ذلك الموضوع في معرض حديثه عن معالجة الباحث جان مولينو Jean Molino في متابعة أنواع (القلب، العكس، التبديل) التي تسم التركيب أو نظام اللغة الشعري (في الفرنسية)، "، لأن هناك خصوصيات وفروقًا يلزم أخذها بعين الاعتبار عند الانتقال من اللغة الفرنسية إلى غيرها من اللغات الأخرى إذ تختلف صور هذا النوع من (الإجازات الشعرية) وطرائق توظيفها، وبالتالي دلالاتها من لغة إلى أخرى، فضلًا عن السياقات الواردة فيه، وإن كانت البلاغة العربية أثرى وأغنى من نظيرتها الغربية في هذا المجال"[31]

كما تتناول فتيحة كحلوش في دراستها (نظرية الانزياح من شجاعة العربية إلى الوظيفة الشعرية) مستويات الانزياح الشعري فهناك " المستوى العادي: ويتجلى في هيمنة الوظيفة الإبلاغية على أساليب الخطاب، والمستوى الإبداعي: وهو الذي يخترق المستوى المألوف للغة , وينتهك صيغ الأساليب الجاهزة، ويهدف من خلال ذلك إلى شحن الخطاب بطاقات أسلوبية وجمالية تحدث تأثيرا خاصا في المتلقي، هو أنواع التشبيه والمجاز." شكل متعمد من قبل منشئ الخطاب، بل طموحه الدؤوب في تحرير العلامة اللغوية من قيود العرف والتواطؤ الاجتماعيين[32].

هذا وقد جسّد المحدثون الفروق التي تميز لغة الشعر بمصطلح الانحراف الذي يعني أن شعرية اللغة تقتضي خروجها الفاضح على العرف النثري المعتاد وكسر قواعد الأداء المعروفة لابتداع وسائلها الخاصة في التعبير عمّا لا يستطيع النثر تحقيقه من قيم جمالية فبينما يقدّم النثر المعنى، يقدّم الشعر معنى المعنى، ففكرة الانحراف تعد خرقاً منظماً لشفرة اللغة، تحاول بناء نمط شعوري آخر بنظام جديد .

ويمكن القول: أن الانزياح خاصية ضرورية وهامة من خصائص اللغة الشعرية في كل الآداب العالمية وهي تعتمد على تجاوز نمطية اللغة واستحداث لغة شعرية جديدة تتمرد على القوالب الجامدة، ومن ثم لا تصبح الألفاظ مجرد وسائل لنقل الأفكار، بل أشياء مطلوبة لدواتها، وكيانات مادية مستقلة بنفسها .

وإذا كنّا قد ألمحنا إلى صور الانزياح وأشكاله المتنوعة، فبجدر بنا أن نقف بشيء من التفصيل على " الانزياح الدلالي "، ونقصر الحديث عليه باعتباره موضوع هذا البحث ومادته.

فما المقصود بـــ " الانزياح الدلالي "؟ وما صوره وتجلياته في الخطاب الشعري؟

الانزياح الدلالي الشعــري:

" هو إعطاء اللفظ دلالة مجازية كإضافة ما ليس له إليه.. مثل: يد القدر؛ فاليد تتعلق بكائن حي كالإنسان وإضافتها إلى القدر أعطت معنى مجازيا يتمثل في خلع صفات الحياة على الأشياء والظواهر من حولنا. ويدخل في باب الانزياح الدلالي كل[33]

وقد يشترك الانزياح معاً (النحوي والدلالي) في جملة واحدة .. كقوله تعالى: (واشتعل الرأس شيباً)[34] " فتقديم (الرأس) أعطى فائدة الشمول وكأن الشيب شمل كل جوانب رأسه .. وهذه الفائدة لن تتأتى لو ظلت الجملة على أصلها: واشتعل شيب الرأس .. وأما الخرق الدلالي هنا فيتمثل في إضافة الاشتعال إلى ما ليس له فالاشتعال يكون للنار.. وهذا الخرق أعطى إيحاء وحركة وصورة فنية .."[35]

وقد اهتمّت جماعة (مو) بالانزياح الدلالي خلال تدارسها الصيرورات الدلالية، التي تهتم بدراسة تغيرات المعنى، وعرّفتها " باعتبارها المجاز الذي يعوض وحدة دلالية بأخرى "[36] ثم اعتمدت تفكيك هذه الصيرورات الدلالية إلى وحدات صغرى: (المجاز المرسل، والاستعارة، والكناية)[37]

الانزياح إثارة إذ أن الانزياح الدلالي من أشد أنواع الإنزياحات إثارة إذ يمنح القارئ أفقاً للتأويل، وذلك باعتبار المتلقي يساهم في صياغة النص وإنتاجه من جديد، كما يؤكد رولان بارت: « ذلك أن القارئ، حسب بارت، ليس مستهلكاً للنص فحسب، بل هو منتج له أيضاً[38] ويورد علاء رمضان أنموذجًا للانحراف الدلالي فـــي: قول الشاعر عبد الكريم الناعم[39]:

وأمي عتيقة الهموم تشتري براءتي بالعُمر، تَنْتَحِبْ.
تبكي عليَّ، فابنها جنازة تَفِرُّ من أحداثها،
نَعْش على أكتاف وَهْمِهِ يُسَاقْ.
وقِصَّة عتيقة ميناؤها الرياح....

" ولنبدأ بِحَلّ شفرة هذا المقطع بتحويله إلى نثر، أي محاولة تقديم مقاربة دلالية له:

أُمُّهُ عتيقة الهموم تشتري براءته بالعُمُر(؟). تَنْتَحِبْ... تَبْكي عَلَيْه. فابنها جنازة تَفِرّ من أحداقها (؟).

- [وابنها]- نَعْشٌ على أكْتافِ وَهْمِهِ (؟).
- [وهم النعش]- يُسَاقْ".

إلى هنا ينتهي حقل التشكيل الانزياحي عند الشاعر، في هذا المقطع، ومن نثره نوجز ثلاث مناطق للانحراف:

(1) العمر – بلا تحديد.
(2) الجنازة التي تَفِر من أحداق أمِّهِ.
(3) نعش على أكتاف وهمه – وهم النعش- يُسَاق. "[40]

ومن خلال هذا الأنموذج يتبين أن الشاعر يسعى من خلال الانزياح الدلالي إلى إثارة القارئ وإيقاعه في المفاجأة، غير أن هذا الرأي يظل نسبياً، لأن ثمة أسباب أخرى تقف وراء هذا التمرد الذي يمارسه الشعراء على المعيار والقاعدة والعادة، وهو ما أُطلق عليه الدوافع الذاتية التي تنشأ في نفسية المبدعين بشكل مختلف ومتفاوت، والتي تتوق باستمرار إلى ارتكاب الممنوع، واختراق المألوف .

المصـــادر والمراجـــع

القـــرآن الكريـــم:

أولا: مصـــادر ومراجـــع البحث:

1- أحمد علي سعيد: أدو نيس، الشعرية العربية، ط1، دار الآداب، بيروت، 1985.

2- الأسعد، محمد: مقالة في اللغة الشعرية (د- ط) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1980م.

3- تليمة، عبد المنعم: مدخل الى علم الجمال الأدبي، ط2، منشورات المقالات، الدار البيضاء 1987م.

4- الجاحظ، عمر بن بحر: الحيوان، تحق: هارون، عبد السلام، ط3، 1969ط.

5- الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحق: شاكر محمد ، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة 2004م.

6- فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط1، دار الكتاب اللبناني للنشر 2004م.

7- فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط1، مكتبة الأنجو، المصرية، القاهرة 1978م.

8- القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحق: الخواجة، محمد بن الحبيب (د- ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996م.

9- كمال، أبو ديب: في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1987م.

10- عزام، محمد: النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، ط1، وزارة الثقافة السورية، دمشق 1996م.
11- عتاق، قادة: في السيميائيات العربية، ط1، دار الرشاد، الجزائر 2004م.
12- عيد رجاء: لغة الشعر، ط1 منشأة المعارف، الاسكندربة 1985م.
13- العيد، يمني: القول الشعري، ط1، جار توبقال للنشر، الدار البيضاء 1987م.
14- الناعم، عبد الكريم: الرحيل والصوت البدوي، ديوان شعرد، ط) مطبعة الاتحاد، تونس 1975م.

ثانيـــا: المراجع المترجمة:

1- رينيه ويليك Renne Wellek، واو ستين وارين Austin Warren: نظرية الأدب، ترجمة: صبحي، محي الدين، مراجعة: الخطيب، حسام ط2، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981م.
2- جون كوهين John Cohen: بناء لغة الشعر، ترجمة وتقديم: درويش، أحمد(د.ط) دار غريب القاهرة 2000م.
3- جون كوهين Jhon Cohen: بنية اللغة الشعرية، ترجمة، محمد والعمري، محمد، ط1 دار توبقال، الدار البيضاء 1986م.

ثالثـــا: المجلات و الدوريات :

1- أبطي، عبد الرحيم: الانزياح واللغة الشعرية، مجلة علا مات ج54، م14، شوال1425 هج، ديسمبر2004م.

2- بواجلابن، الحسن: الانزياح المنطقي من منظور جماعة (مو) مجلة علامات ج67، مج17، ذو القعدة 1429هج، نوفمبر208م.
3- محصول، سامية: الانزياح في الدراسات الأسلوبية، مجلة، دراسات أدبية، عدد 15، مركز البصيرة للدراسات والبحوث الجزائر 2010م.

رابعــا: المواقــع الالكترونيــة:

1- أيوب، محمد: الانزياحات الدلالية والنفسية
موقع: منتديات الأستاذ، منتدى التعليم العالي: **WWW.PROFYB.COM**
2- ثلجي، محمد: الانزياح الدلالي في الشعر الحديث:
موقع: WWW.TUNISIA-SAT.COM
3- رمضان، علاء الدين: الانحراف الدلالي وبنية النمط الشعوري:
موقع: دفاتري، WWW.DAFATRI.COM
4- كحلوش، فتيحة: نظرية الانزياح من شجاعة العربية إلى الوظيفة الشعرية: دراسة علمية، جامعة الجزائر.
موقع: مكتبتنا العربية WWW.ALMAKTAPAH.NET
5- ويس، أحمد محمد: الضرورية الشعرية ومفهوم الانزياح:
موقع: شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية، WWW.ALFASEEH.COM

الــهوامش

[1]- محصول سامية: (**الانزياح في الدراسات الأسلوبية**)، مجلة دراسات أدبية، العدد 15، مركز البصيرة للدراسات والبحوث، 2010.

2- محمد أيوب (**الانزياحات الدلالية والنفسية**)، موقع إلكتروني منتديات الأستاذ، منتدى التعليم العالي، منتديات الأستاذ.

3- سورة عبس، آية (34- 37)

[4]– عبد المطلب، محمد: **البلاغة والأسلوبية** ط 1 مكتبة لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية لونجان القاهرة 1994، ص285.

[5]– " محمد تلجي: **(الانزياح الدلالي في الشعر الحديث)**، موقع إلكتروني منتديات تونيزياسات،

[6]– جون كوهين John Cohen : النظرية الشعرية (بناء لغة الشعر – اللغة العليا)، ترجمة وتعليق درويش، أحمد، د ط دار الغريب القاهرة 2000، ص50.

[7] – المرجع نفسه، ص199.

[8] – المرجع نفسه، ص119.

9– القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء تح الخواجة، محمد بن الحبيب، دط دار الغرب الإسلامي بيروت 1996– ص143–144.

[10]– الجاحظ، عمرو بن بحر: الحيوان، تح عبد السلام هارون، ط3 1969 ص– 131.

[11] – الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز تحق: شاكر، محمد، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004، ص 450.

[12] – محمد دخيس (التحولات الدلالية)، موقع إلكتروني، رابطة أدباء الشام.

[13]– عتاق قادة: في السيميائيات العربية ط1 دار الرشاد الجزائر 2004 ص91.

[14] - عبد الرحيم أبطي: الانزياح واللغة الشعرية مجلة علامات عدد54 مج 14، ص 459.

[15] - تليمة عبد المنعم: **مدخل إلى علم الجمال الأدبي**، ط2، منشورات المقالات الدار البيضاء 1987، ص 82.

[16]- فضل صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ط1 دار الكتاب اللبناني للنشر 2004 ص58.

[17]– رينيه ويليك Renne Wellek واو ستين وارين Austin Warren : **نظرية الأدب**، ترجمة: صبحي محي الدين، مراجعة: الخطيب حسام.ط2، بيروت 1981 ص21.

[18]– عبد الرحيم أبطي: **الانزياح واللغة الشعرية**. مجلة علامات، العدد 54 مج 14، ص461.

[19]– جون كوهين John Cohen: **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة: محمد الولي، ومجمد العمري، ط1 دار توقبال الدار البيضاء 1986، ص113.

[20]– لحسن بوجلابن: **الانزياح المنطقي من منظور جماعة**، مون: مجلة علامات ج66 مج 17 نوفمبر 2008، ص165.

[21] – موسى خليل: **الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر**. ص99.

[22] – المرجع نفسه ص100.

[23] – أبوديب، كمال: **في الشعرية**، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ط1987،1 ص17.

[24] – أدونيس، أحمد علي سعيد **الشعرية العربية**، ط1 دار الآداب بيروت 1985 ص31.

[25]– عيد رجاء: **لغة الشعر** ط1 منشأة المعارف، الإسكندرية 1985 ص114.

[26]– الورقي السعيد: **لغة الشعر العربي الحديث**، ص670.

[27]– فضل صلاح: **نظرية البنائية في النقد الأدبي**، ط1 مكتبة الإنجو المصرية القاهرة 1978. ص316.

[28] – الإسعد محمد: **مقالة في اللغة الشعرية** دط المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1980. ص40.

[29] –العيد يمني: **في القول الشعري**، ط1 دار توبقال للنشر الدار البيضاء 1987 ص20.

[30]– المرجع نفسه،.

[31]– عبد الرحيم أبطي: **الانزياح واللغة الشعرية**. مجلة علامات ج 54 م 14 ص473.

[32]– فتيحة كحلوش: نظرية الإنزياح من شجاعة العربية إلى الوظيفة الشعرية، موقع مكتبتنا الشعرية العربية.

[33]– ويس أحمد محمد: **الضرورة الشعرية ومفهوم الإنزياح**. موقع شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية.

[34]– سورة مريم: آية 4.

[35]– ويس أحمد محمد: **الضروؤات الشعرية ومفهوم الإنزياح** موقع إلكتروني، شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية.

[36]– لحسن بوجلاين مجلة علامات ج67 مج 17 ص170.

[37]– المرجع نفسه ص171.

[38]– عزام محمد: **النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي** للأدب ط1 وزارة الثقافة السورية دمشق 1996 ص143.

[39]– الناعم عبد الكريم: **الرحيل والصوت البدوي**: ديوان شعر، د ط الإتجاد تونس 1975.

[40]– علاء الدين رمضان: **الانزياح الدلالي وبنية النمط الشعري**، الموقع: دفاتري.